# بيت العلم الشرعي: بابه وطريقه

إن الورود النافع والارتواء الصحيح والتخلق الصادق بالعلم لا يتم إلا من خلال النظر الصحيح إلى ثلاثة أبعاد هي:

١. **طبيعة الباعث**: الذي حرك الهمة لطلب العلم فإذا لم يكن الباعث ربانيا فإن المرء يتذبذب غالبا بين الانحراف بالانصياع وراء الحظوظ النفسية مادية كانت أو معنوية، وبين الانقطاع عن العلم والتقهقر إذ العلم عبادة من أجلّ العبادات فلابد فيها من تصحيح النية وتخليصها من شوائب الحظوظ قال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ الزمر: ٢ - ٣ وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ ﴾ الزمر: ١١ وقال صلى الله عليه وسلم في حديث عمر رضي الله عنه عند الشيخين: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: "إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم" وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه – فذكر الحديث – وفيه: ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها: قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار".

قال الشيخ محنض بابه بن امّين الديماني:

من طلب العلم احتسابا وابتغا ... رضا العليم فاز بالذي ابتغى
ومن به نهج المباهاة سلك ... وظن نفسه على خير هلك
وشيخه في العلم بعد علم ... نيته شريكه في الإثم

وقد قلت:

من طلب العلم لوجه الله جل ... كي يحرز الفضل لديه لا وجل
من سبة الجهل ولا ليتعال ... على العباد ناسيا للمتعال
أو لينال من حظوظه التي ... أعمت فؤاده عن الأدلة
بل لينال الفوز في دار الخلود ... ويسلك النهج الذي لها يقود
فاز بما ابتغى من السعادة ... في دارَيِ الغيبة والشهادة

٢. **طبيعة التلقي**: فعلى حسب مصدر التلقي يكون الحصاد إذ كل إناء بالذي فيه يرشح فمن تلقى العلم من غير مصدره الصحيح أو سعى إليه من غير بابه كان حظه من الخطإ والبعد عن روح العلم وثمرته أوفر من حظه من العلم في الغالب الأعم.

والعلم النافع الصحيح لابد فيه من السماع من الشيوخ والمشافهة فلم يصل إلى الأمة علم نافع صحيح محرر من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن إلا بهذه الطريقة، فهي السنة التي اختارها الله تعالى لتوارث العلم وهي سيرة السلف فيه وفي المثل: لا تأخذ القرآن عن مصحف ولا الحديث عن صحف قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣ وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ النساء: ٨٣

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد عند ابن ماجه بإسناد حسن: "سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفتوهم".

وفي حديث إبراهيم بن عبدالرحمن العذري عند أحمد: "يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين".

وقال ابن عساكر:

ألا إن الحـــــديث أجـــــل علـــــم وأشـــــرفه الأحاديـــــث العـــــوالي
وأنفـــع كـــل نـــوع منـــه عنـــدي وأحســـــنه الفوائـــــد والأمـــــالي
فإنـــك لـــن تـــرى للعلـــم شـــيئا يحققـــــه كـــــأفواه الرجـــــال
فكـــن يـــا صـــاح ذا حـــرص عليـــه وخـــذه عـــن الشـــيوخ بـــلا مـــلال
ولا تأخـــذه عـــن صـــحف فترمـــى مـــن التصـــحيف بالـــداء العضـــال

وقال أبو حيان:

ومـــن طلـــب العلـــوم بغـــير شـــيخ أضـــل عـــن الصـــراط المســـتقيم
وتلتـــبس الأمـــور عليـــه حـــتى يكـــون أضـــل مـــن تـــوم الحكـــيم
يظـــن الغمـــر أن الكتـــب تهـــدي أخـــا جهـــل لإدراك العلـــوم
ومـــا يـــدري الجهـــول بـــأن فيهـــا غـــوامض حـــيرت ذهـــن العلـــيم

وقد قلت:

والشـــيخ مهمـــا كـــان فهمـــك يفيـــد رفعـــا لهمـــة وتقريـــب البعيـــد
والانتبـــاه لـــدقائق العلـــوم ثباتهـــا وأن تصـــيب في الفهـــوم
وثقـــة بمـــا مـــن العلـــم حصـــل وأدب العلـــم ومـــا بـــه اتصـــل
أمـــا إذا مـــا اعتمـــد الكتـــب الـــتي أخطاؤهـــا قـــد كثـــرت وجلـــت
ولم يعـــرج حـــين أخـــذه علـــى شـــيخ يســـهل ميـــادين العـــلا
فهـــو معـــرض لأخطـــاء جســـام في حـــق نفســـه ومجمـــوع الأنـــام
مع كونه لـــن يقطـــع الشـــوط الســـوي في طلـــب العلـــم الصـــحيح المســـتوى

٣. **طبيعة المنهج**: فعلى حسب طبيعة المنهج تتحدد النتائج إذ سنة الله تعالى اقتضـــت أن لكل نتيجة طريق معين لا يوصل سواه إليها يتفاوت السالكون فيه بحسب الجد والتشمير والاستعداد الطبيعي ووضوح الهدف.

ولحيازة العلم الشرعي والانخراط في سلكه بشكل صحيح منهج يختلف عـــن منـــهج التثقيف المدرسي والتوعية النظامية وإكساب مهارات وفنيات التعامل الصوري مـــع العلوم والمعارف.

وقد جرب هذا المنهج في الجملة عبر تاريخ الأمة وتبين أنه القادر وحده على التحصيل الحقيقي للعلوم الشرعية وشهد له بالجدارة المربون قديما وحديثا غير أنه قد يخفى على بعض الناس إذ لم تصنف فيه كتب بعينها وإنما تلقي عبر الممارسة العملية ومـــن هنـــا كان تجريده في نقاط محددة خدمة لازمة للعلم الشرعي وطلابه وإليك ركـــائز هـــذا المنهج وعناصره كما تبيناها من خلال التتبع والاستقراء لسيرة السلف الصالح العملية وهي:

**أولا: ركائزه الأساسية**: إن هناك ركائز أساسية لهذا المنهج لا يقوم إلا عليها وهي:

**١. التدرج**: فسنة الله في الكون مبنية على التدرج في الخلق والنمو والقوة والضـــعف والتعلم والفهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢ - ١٦

وقال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسـراء: ١٠٦

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة عند البيهقي: "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تكره عبادة الله إلى عباده ، فإن المنبت لا يقطع سفرا، ولا يستبقي ظهرا".

وقال ابن عباس: "الربانيون الذين يأخذون الناس بصغار العلم قبل كباره"، وقال الشيخ محنض بابه بن امّيّن الديماني:

واعلم بأن سنة الله التي ... عن فهم غورها العقول كلت
قد اقتضت أن الحصول للمراد ... ليس يكون دون جد واجتهاد
وليس يحصل الذي منه رجي ... حصوله إلا على تدرج

وقد قلت:

وسنة الله العليم تقتضي ... تدرج الاشيا لكل مقتضي
فراعها تصل إلى المراد في ... ما تبتغي من غاية وهدف

**٢. الحفظ**: فعلوم الشريعة لا تنال إلا بالحفظ إذ الشرع لابد أن يستفتيه المسلم على مدار الساعة في الحركات والسكنات والخواطر والأفكار ولا يتأتى ذلك إلا من خلال علم حاضر لا يحتاج إلى البحث والمطالعة إلا في وسائل مخصوصة وحالات نادرة.

ومنهج الحفظ منهج بدأ مع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم واستمر مع الإئمة وتابعيهم وفي ذلك بيان كاف لأنه لا غنى عنه.

قال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: ١٦ - ١٩

وقال ابن عباس فيما أخرجه البخاري في مراجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في القرآن: "وكان يأتيه كل ليلة من رمضان يدارسه القرآن" وقال صلى الله

عليه وسلم في حديث أبي سعيد عند مسلم: "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه" وبمقتضى هذا الأمر حفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الصدور و لم تدون إلا في عهد عمر بن عبد العزيز بأمر منه فظلت خلال قرن كامل تتداول عبر الحفظ المتقن و لم يشذ عن ذلك إلا النزر القليل وقد كان معيار التفاوت الأول عند أئمة الإسلام هو الحفظ ومن هنا نال الإمام البخاري تلك المرتبة الفذة بحفظه المتميز الذي جلاه اختبار العراقيين المشهور له، واشتهرت المقولة الجامعة: العلم فازت به الحفاظ.

وقديما قيل:

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر

وروى البيهقي في شعب الإيمان أن عبد الله بن المبارك قال: "لا ينال العلم إلا بالفراغ والمال والحفظ والورع".

قال الشيخ محنض بابه بن امّين الديماني

والكتب مما ينبغي أن يقتنى ولـيس عنها لذوي العلم غنى
ولكن الحفظ هو المهم لا ملك رقّ خط فيه علم
فالحرف في القلب يفوق ألفا بل ألف ألف في الكتاب تلفى

وقد قلت:

والعلم دون حفظه لا يدرك مهما سعى فرد إليه سالك
فالقلب لا يفقه إلا ما استقر من المباني والمعاني والعبر
والحفظ لازم لمن تعلما في قول كل الحكماء العلما

ومـــن يخـــل علمـــا بدونـــه حصـــل فـــذاك واهـــم فعنـــه لا تســـل
فـــالعلم إن حفـــظ زان ونفـــع وأخصـــب الفكـــر وللمـــرء شـــفع

**٣.التأني:** ويعني عدم استعجال النتائج والتشوف إلى النهايات إذ الاستعجال يصرف الفكر إلى التفكير في غير الواقع فتشل حركته في الواقع فيعجز الإنسان عن القيام بالعمل

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا ﴾ القصص: ٢٧ – ٢٩

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن مالك عند المنذري: "التأني من الله والعجلة من الشيطان".

وقال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس في حديث مسلم: "إن فيك لخصلتين يحبهما الله، الحلم والأناة"

وفي القواعد الفقهية المشهورة: من طلب الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

فمن تعجل الثمرة بحاله أو مقاله قبل أوانها بالأخذ في المطولات أو التصدر تدريسا أو تأليفا فاته العلم وثمرته البصيرة واستعاض منها الألقاب والصورة وجر إلى نفسه الضر من حيث ابتغى النفع وإلى الآخرين الشر من حيث ابتغى الخير إلا أن التأني لا يعني التراخي في الطلب والتواني في الجد وعدم توظيف العلم ولو قل وإنما يعني الواقعية في تصور الأشياء والسير إلى الأهداف.

قال الشاعر:

قـــد يـــدرك المتـــأني بعـــض غايتـــه وقـــد يكـــون مـــع المســـتعجل الزلـــل

وربما فات قوما جلّ أمرهم من التواني وكان الحزم لو عجلوا

وقال الشافعي:

أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

وقد قلت:

وأعظم العوائق التشوف إلى النهايات التي تسوف
إذ ذاك داع لانصراف الفكر عن واقعه إلى خيالات تعن
فتتعطل المواهب التي سيكسب العلم بها في الجملة
فيعجز الطالب عن سير صحيح وبالأماني يستعيض ذا الجريح

٤. **العمل**: وهو الغاية الباعثة إلى العلم، والثمرة المتوخاة منه، بل بدونه يكون العلم حجة على المرء لا له. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ٢٨٢ ، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري عند مسلم: "القرآن حجة لك أو عليك".

قال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يؤتى لعاص

وقال محنض بابه بن امّين الديماني:

تعلـــم العلـــم الصـــحيح واعمـــل ... بـــالعلم إن رمـــت حصـــول الأمـــل
فلـــيس يحصـــل مـــع الجهـــل أمـــل ... والعلـــم إنمـــا يـــراد للعمـــل
فـــإن تفـــت غايتـــه الجليلـــه ... لم ينفـــع التحصـــيل للوســـيلة
فاعمـــل بمـــا علمـــت قبـــل أن تـــروم ... بـــه الإفـــادة لطـــلاب العلـــوم
فـــالمرء إن يعمـــل بمـــا قـــد سمعـــه ... مـــن العلـــوم النافعـــات نفعـــه
وانتفـــع الأهـــل والاخـــوان بـــه ... وثبـــت العلـــم بـــه في قلبـــه
وحيـــث لم يعمـــل بـــذا المســـموع ... نســـيه في شـــهر او أســـبوع
مـــن غـــير أن يكـــون نافعـــا لـــه ... أو نافعـــا إخوانـــه أو أهلـــه
فـــإن أفـــدت الحكـــم الجليلـــه ... فلتـــك مثـــل الشـــمس لا الفتيلـــه
فالشـــمس يســـتفيد منـــها القمـــر ... إنـــارة والنـــور فيهـــا أبهـــر
أمـــا الفتيلـــة فإنهـــا تفيـــد ... جليســـها نـــورا ونفســـها تبيـــد

وقد قلت:

واعمل بذا الوحي الذي جـاء الرسـول ... بـه وباجتـهاد صـحبه العـدول
وتـابعيهمو مـن الأئمـة ... إن رمـت للعلـم ثباتـا يثبـت
فـالعلم إن جـاء ينـادي بالعمـل ... فـإن أجابـه وإلا يرتحـل

**٥. الاستقامة:** وهي سر النجاح ومفتاح التيسير وعنوان الوصول في الأمور كلها وأحرى الطلب للعلم النافع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ فصلت: ٣٠ - ٣٢

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة عند الشيخين: "خير الأعمال أدومها وإن قل" وفي المثل: القليل الدائم خير من الكثير المنقطع، وفي المثل أيضا: من سلك الطريق ولو دار بلغ الدار.

وقال الشاعر:

وحيثما تستقم يقدر لك الله ... نجاحا في غابر الازمان

وقال آخر:

إن كنت تسعى للزيادة فاستقم ... تنل المراد وقد سموت إلى السما

ألف الكتابة وهو بعض حروفها ... لما استقام على الحروف تقدما

وقد قلت:

والاستقامة على النهج السليم ... لنافع العلم ومرضاة العليم

أنفع زاد في طريق الطلب ... يسهل السير لنيل المطلب

٦. **علو الهمة:** وهو التعلق بالمطالب العالية والغايات الكبرى والأهداف النبيلة فلا يرضى صاحبه بالدون ولا يقنع بالقليل من العلم الشرعي بل همته أن يزاحم الأئمة ويسابق الحفاظ في طلب العلم النافع.

والهمة العالية سبب لتحريك قوى النفس الداخلية واستحثاث ملكاتها في اتجاه الهدف وسبب للصبر على الطريق ورؤية النقص والتقصير وتدارك الخلل.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ القصص: ٣٣ - ٣٥

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ النور: ٣٧ - ٣٨

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء: ٧٩

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الشيخين: "لو كان الإيمان بالثريا لناله قوم من هؤلاء" يعني لعلو هممهم. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضا عند الشيخين "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر أنهار الجنة".

وقال المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين الكبير العظائم

وقد قلت:

والعبد يرزق على قدر اهتمام يرزقه الله لسادة الأنام
لكونها تعلق لعازم أن يفعل الفعل بشكل جازم

٧. **الرحلة في طلب العلم**: وتنقسم إلى قسمين:

- رحلة شعورية فقط وهي متاحة لكل الناس ومقتضاها الاهتمام الصادق وانتهاز الفرص السانحة وتعلق القلب بالعلم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد: ١١ وقال صلى الله عليه وسلم: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا" البخاري.

قال أحد العلماء:

له تغرب وتواضع واترع وجع وهن واعص هواك واتبع

وقد قلت:

وقبل أن يرحل للعلم الشعور فلن يرى لطالب العلم شعور
برتبة العلم وقدره الرفيع وعظم الخسر بفوته المضيع

- رحلة بدنية وروحية بطلبه في الأماكن المختلفة والبحث عنه مهما بعدت الشقة إليه قال تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا

عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الكهف: ٦٤ - ٧٠ وقال صلى الله عليه وسلم: "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة" مسلم وقد رحل مالك بن الحويرث وشبيبة من قومه كما في صحيح البخاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذوا العلم وأقاموا عنده لذلك مدة.

قال أحد العلماء:

علم الحديث مبين فادن واقتبس ... واحْدُ الرّكاب له نحو الندى الندس

واطلبه بالصين أو بالهند إن رفعت ... أعلامه برباها يا ابن أندلس

ما العلم إلا كتاب الله أو خبر ... يجلو بنور هداه كل ملتبس

وقد قلت:

قد رحلت جماعة شهرا تحل ... ليلا وسائر النهار ترتحل

لأجل أن يأخذ كل وافد ... عن شيخه فرد حديث واحد

منهم أبو أيوب إذ لعقبة ... سليل عامر أتى من طيبة

وعقبة بمصر إذ ذاك وكر ... من حينه عند سماعه الخبر

وجابر سليل عبدالله شد ... رحاله لابن أنيس الأسد

علقمة بن قيس النخعي سار ... من العراق لمدينة الفخار

ومثله الأسود أعني ابن يزيد ... لخبر من عمر بلا مزيد

وهكـــذا ســـار ســـعيد بـــن جـــبير ... إلى ابـــن عبـــاس فنـــال منـــه خـــير
أمـــا أبـــو عثمـــان النهـــدي فســـار ... إلى أبي هريـــــــرة ذاك المســـــــار
والـــدليمي ســـليل فـــيروز رحـــل ... إلى سميـــه ابـــن عمـــرو حيـــث حـــل
رحالـــه ومـــن فلســـطين أتـــى ... وكـــان بالطـــائف شـــيخه الفـــتى
مـــن مصـــر للحجـــاز للعـــراق ثم ... للشـــام مكحـــول الدمشـــقي أتم
والحســـن البصـــري مـــن محلـــه ... لقريـــــة الكوفـــــة في أقلـــــه
ثم أبـــو معشـــر الكـــوفي قفـــل ... لابـــن أبي عيـــاش مـــا البصـــرى ارتحـــل
أمـــا ابـــن مهـــران أبـــو العاليـــة ... فســـار مـــن بصـــرة للمدينـــة
أبـــو قلابـــة بـــن زيـــد قـــد أقـــام ... جـــيم ليـــال لحـــديث بالتمـــام
وعـــروة نجـــل الـــزبير وســـعيد ... ابـــن المســـيب مـــن الوفـــد الســـعيد
ولازم الأشـــياخ عشـــرين ســـنه ... مغتربـــا عـــن أهلـــه كـــي يحســـنه
جماعـــة فمالـــك لـــه لـــزم ... تلميـــذه ابـــن القاســـم الشـــيخ الحـــزم
ولازم الشـــيخ الكـــبير ســـيديا ... لشـــيخه الكنتِـــيِّ فيهـــا نائبـــا
كـــل عـــن أخبـــار الـــبلاد والـــوطن ... حتى اعتلـــى شـــأْوَ الكـــبير ذي الفِطَـــنْ

**ثانيا: مفردات المنهج:** ولابد أن تخضع مفردات المنهج لثلاثة مستويات لا يمكن لطالـــب العلم أن يتجاوز واحداً منها إذا أراد الوصول إلى الثمرة الحقيقية وحصاد المادة العلميـــة المعيارية بغض النظر عن شهادته ومرحلته في الدراسة النظامية وسنه وجنسه وبيئته ومجتمعه واختصاصه فهذه المستويات يخضع لها الدكتور وطالب الدراسات العليا والطالب الجامعي والثانوي والابتدائي ويخضع لها ابن ست وابن ستين سنة وتخضع لها المرأة والرجل والبنت والابن ويخضع لها العربي والفارسي والتركي والروسي والأوربي والإفريقي ويخضـــع لهـــا الطبيب والأستاذ والمهندس والتاجر والحرفي والإداري والعسكري والمزارع والمنمـــي.... والتفاوت بينهم إنما هو في درجة الاستيعاب وقوة الحفظ وصحة الفهم ونوع التأثر وجهة الميول وسرعة المسير ومستوى التكيف والتخلق إذ قابلية امتلاك العلوم الشرعية خاصـــية

مشتركة بين جميع الخلق وإن تفاوتت قدرتهم على استعمال الوسائل وتاريخ الأمة يشهد لهذه القابلية فالأئمة الذين نقلوا العلم وحرروا مسائله وورثوه منهم الدباغ والصباغ والخراز والمزارع والحداد والتاجر والطبيب والجندي والوزير والخليفة، ونحن اليوم في جو ساد فيه الخوف على الحظ الدنيوي لا النصيب الأخروي، والسعي إلى معرفة طرق الكسب المغرية لا إلى علم العلوم المنجية، والمسارعة إلى الاستجابة للرزق لا الرزاق الخالق فإذا لم يبدأ المسلم بتعلم الفرض الديني بسبب ما اخضع له من تربية فلا أقل أن يختم به شوطه في السعي إلى الحظ الدنيوي.

**وهذه المستويات هي:**

**المستوى الأول:** منطقة الضيق أو المفردات التي لا غنى عنها ولا خيار فيها وتنحصر في حفظ وإتقان متن ولو كان خفيفا مختصرا شعرا كان أو نثرا في كل علم من العلوم الشرعية على النحو التالي:

- متن في التجويد كالمقدمة الجزرية أو تحفة الأطفال أو بصائر التالين أو ما أجمع عليه من صيغ الأداء.
- أجزاء من القرآن كآيات الأحكام أو سورها.
- متن في نصوص الحديث كالأربعين النووية أو عمدة المقدسي.
- متن في العقيدة والتوحيد كلمعة الاعتقاد أو نظم العقيدة الطحاوية.
- متن في الفقه كمختصر الخرقي أو العبادات من عمدة ابن قدامة.
- أو نظمها التيسير في الفقه الحنبلي وكالمرشد المعين أو الكوكب الزهري في الفقه المالكي وكالكتاب أو الجامع الصغير لمحمد أبي الحسن أو نظمه لمعة البدر في الفقه الحنفي وكأبي شجاع أو نظمه أو نظم الزبد في الفقه الشافعي.
- متن في مصطلح الحديث كالبيقونية أو نخبة الفكر أو نظمها.
- متن في الأصول كورقات إمام الحرمين أو أحد أنظامها.
- متن في القواعد الفقهية كنظم القواعد الفقهية الكلية وفروعها الجلية.
- متن في النحو كالآجرومية أو نظمها أو المكمل لعبيد ربه أو لامية النحو.

- متن في البلاغة كالنقاية أو نظمها أو فاتح البلاغة.
- متن في الصرف كلامية ابن مالك.
- متن في العروض كميزان الذهب أو ميزان شعر العرب.
- متن في اللغة كالمعلقات أو الشنفرية أو الممدود والمقصور أو مثلث قطرب.
- متن في الإملاء العربي كمنظومة الإملاء لمحنض بابه بن امّيّن الديماني.
- متن في السيرة والتاريخ كحوادث السنين أو اختصار المختصر في السير.
- متن في التزكية كالمطهرة أو السلم أو الشدرات.
- متن في المنطق كالسلم المنورق أو احمراره أو الطيبية.
- متن في قواعد التفسير كقواعد السعدي أو نظمها أو مقدمة ابن تيمية.

**المستوى الثاني**: منطقة السعة أو المفردات ذات البدائل وفي هذه المرحلة يختار طالب العلم بين التخصص في علم بعينه أو علمين معينين أو علوم بأعيانها وبين الموسوعية والشمول وعليه أن يتقن في كل علم سيتخصص فيه متنا مستوعبا الفن شعرا كان أو نثرا أو يستصحب كتابا أو كتبا بحسب الفن المتخصص فيه على النحو التالي:

- **القرآن الكريم**: حفظ القرآن الكريم كاملا برواية من روايات القراء السبع واستصحاب تفسير موجز وكتاب في علوم القرآن والإكثار من مدارستهما حتى تستقر معلوماتهما في الذهن كتفسير ابن جزيّ أو مختصر ابن كثير لأحمد محمد شاكر وكعلوم القرآن للسيوطي وعلوم القرآن لمناع القطان بالإضافة إلى مطالعة التفاسير المطولة كتفسير الطبري والقرطبي وتفاسير آيات الأحكام كتفسير ابن العربي وتفسير الجصاص.
- **الحديث الشريف**: حفظ متن موسع من متون الحديث كبلوغ المرام أو منتقى الأخبار أو اللؤلؤ والمرجان ومطالعة الكتب الستة والموطأ ومسند أحمد وسنن البيهقي حتى يكون أغلبها حاضرا في الذهن ثم مطالعة شروحها ولو مرة واحدة وحفظ متن مستوعب في المصطلح كألفية العراقي أو السيوطي ومطالعة أسد الغابة وتقريب التهذيب لابن حجر وميزان الاعتدال للذهبي والضعفاء والمتروكين

للدارقطني وطبقات المدلسين لابن حجر والضعفاء للبخاري والعلل للترمذي ونحوها حتى تستقر أغلب معانيها في الذهن.

- **العقيدة والتوحيد:** حفظ الآيات والأحاديث المتعلقة بأبواب العقيدة المختلفة ومطالعة كتب الملل والنحل وكتب الفرق الإسلامية وكتب علم الكلام وشروح عقائد أهل السنة وكتب الإعجاز في القرآن والسنة وكتب عجائب الكون والمخلوقات حتى تستقر معاني جملة من هذه الكتب في الذهن ويقوى المطالع على استحضارها متى أراد.
- **الأصول والقواعد الفقهية:** حفظ متن مستوعب في الأصول كجمع الجوامع أو نظمه أو سلم الأصول أو مراقي السعود ومتن مطول في القواعد الفقهية كالمنهج أو نظمه أو نظم القواعد لمحنض بابه بن اعبيد ومتن مستوعب في المقاصد كمختصر المقاصد أو نظمه ومطالعة شروح كتب الأصول الجامعة كالروضة والإحكام والمستصفى ومختصر ابن الحاجب وكتب الأشباه والنظائر الجامعة كالأشباه والنظائر للسيوطي وكتب القواعد الفقهية كالقواعد الفقهية لابن رجب وكتب المقاصد كالمقاصد للشاطبي والمقاصد لابن عاشور حتى تستقر أساسياتها في الذهن.
- **الفقه:** اتقان متن مستوعب في الفقه كالعمدة أو المقنع أو زاد المستقنع أو التيسير نظم العمدة في الفقه الحنبلي وكالكفاف ومختصر خليل أو نظمه في الفقه المالكي وكالوجيز أو الوسيط أو البسيط أو مختصر الشيرازي أو نظم الوجيز في الفقه الشافعي وكمتن تنوير الأبصار وكنز الدقائق للنسفي في الفقه الحنفي ومطالعة كتب الفقه المقارن كالمغني وبداية المجتهد والمجموع وبدائع الصنائع حتى تستقر جملة من مسائلها في النفس بالإضافة إلى الوقوف على كتب النوازل الفقهية.
- **اللغة:** اتقان متن مستوعب في النحو والصرف والبلاغة واللغة كألفية ابن مالك أو السيوطي أو كافية ابن مالك في النحو وكنظم السيوطي أو محنض بابه بن امّين في البلاغة وكمثلث ابن مالك أو ديوان الستة الجاهليين واستصحاب المنتخب للهنائي

في اللغة وفقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي ومطالعة شروح الكتب المتقدمة وشروح نظائرها من الكتب والوقوف على مواد متداولة من القواميس.

- **السيرة:** حفظ ألفية في السيرة والتاريخ كألفية ابن الجزري أو كتاب الرحيق المختوم وحفظ آيات وأحاديث الأحداث والسير ومطالعة كتب الأمهات في السيرة كسيرة أبي اسحاق وسيرة ابن هشام وأسد الغابة والإصابة في تمييز الصحابة وتاريخ الخلفاء وتاريخ الدول والحضارات والأمم كالبداية والنهاية وتاريخ ابن عساكر وابن خلكان والطبري والخطيب البغدادي وابن خلدون وكتب الأنساب كالجمهرة أو المرهم وبعض الكتب المعاصرة في التاريخ والسير حتى تستقر المعلومات الأساسية والخطوط العامة والأحداث المهمة في الذهن.
- **التزكية:** حفظ آيات وأحاديث الرقائق والمواعظ والقصص وجملة من قصص الصحابة والتابعين والصالحين ومطالعة كتب جامعة كمدارج السالكين ومنازل الصديقين وصلاح الأمة وموسوعة أسماء الله الحسنى وصور من حياة الصحابة والتابعين وكتاب الزهد لابن المبارك والزهد لأحمد بن حنبل وألف قصة وقصة والأدب المفرد للبخاري ونحوها حتى تستقر في القلب وتؤثر في النفس وتتحرك لها الجوارح.
- **العلوم العقلية:** مطالعة كتب المنطق والجدل الجامعة كشروح السلم المنورق وضوابط المعرفة والمنطق الصوري واستصحابها حتى تحفظ القواعد العقلية التي تسوقها وحتى يتمهر الإنسان في بناء المقدمات والوصول إلى النتائج وصياغة التعريفات.
- **السياسة الشرعية:** حفظ الآيات والأحاديث المتعلقة بالسياسة الشرعية ومطالعة كتب السياسة الشرعية وكتب الفكر الإسلامي وفقه الواقع وأساليب التغيير حتى يتمهر في سياسة الحكم وواقع الأمة وخصائص التشريع.

وبما أن العمود الفقري لهذين المستويين هو قوة الحفظ واتقان المراجعة والمذاكرة فإنه لابد من استظهار دوري للمحفوظات ومذاكرة مكثفة للمقتضيات خلال فترة هذين

المستويين حتى ترسخ الألفاظ والمعاني بشكل تام ويمهر الطالب في استرجاع وشرح المتون.

وينبغي أن يعتني في المستوى الثاني باستخراج الفوائد وجمع النظائر وتبويب المباحث استعدادا للمستوى الثالث والأخير.

**المستوى الثالث:** مرحلة الحصاد والعطاء استخراجا للفوائد وجمعا للشتات وتصحيحا للمسائل وحلا للمعضلات وإبلاغا للعلم إلى الخاصة والعامة باللسان والقلم.

وفي هذه المرحلة يستغني بالتصدر للتدريس عن الاستظهار الدوري للمحفوظات وبالتأليف والبحث عن المذاكرة المكثفة لكنه لا يستغني عن المطالعة الدائمة لكتب المتقدمين والمعاصرين والإطلاع الدائم على واقع المسلمين والتحرير الدقيق للمسائل والمراجعة الواعية المنصفة لهفواته وهفوات غيره بالإضافة إلى أخذ نفسه بأعلى مستويات أدب العلم وخلة الإنصاف وفضيلة حسن الظن وشرف الاعتراف للآخرين بالفضل ويأخذ طلابه بذلك.

**ثالثا: المنهج التجريبي في الحفظ والفهم والاستيعاب والتمكن:**

إن العاقل ينتقي من رصيد التجربة الإنسانية خير ما فيه ويأخذ منه أنسب الوسائل لغايته وأوفق التجارب لهدفه ومن لازم فناً أوتي ملكوته وتمكن من استخراج كنوزه وترتيب مسائله.

لذا فما لم يوجد في الوحيين من طريقة تحصيل العلم الشرعي وامتلاك ناصيته لا سبيل إليه إلا من خلال تجارب أئمة السلف وعلماء الخلف قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾ النحل: ٤٣ - ٤٤

وقال صلى الله عليه وسلم: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها" رواه الترمذي.

وللحفظ والتحصيل والفهم والاستيعاب من خلال تجارب العلماء جملة من القواعد التي جرب نفعها وهي على ثلاثة أصناف:

١. صنف الأطفال قبل سن الدراسة أي قبل السنة الرابعة: وهؤلاء تشحذ قابلياتهم ويروون بعض المحفوظات القرآنية والحديثية والشعرية والقصصية عن طريق:

- القصص المسلي.

- إحضارهم إلى الحلقات العلمية واستدعائهم عند سماع الأشرطة المفيدة صوتية كانت أو مرئية.

- ربط صور الأشياء في واقعهم بأسمائها.

- تسليتهم بسماع المقاطع الصوتية المكررة وتعويدهم على استخدام الأجهزة المعدة لذلك.

- استغلال ملكة القدرة على المحاكاة والتقمص لديهم بتوظيفها في محاكاة القراءة المتقنة والمقاطع المفيدة والأشعار النافعة وتخصيص جلسة لذلك.

- تشجيعهم بالحوافز المعنوية كالثناء أو المادية أحيانا بشرط أن تكون في صورة وسيلة من وسائل التعليم والتربية.

- الاعتناء بأسئلتهم واستشكالاتهم والإجابة عليها ببساطة وتبسيط وفق الحال والمقام.

٢. صنف العمال والموظفين وأصحاب المهن: ويقوم منهج هؤلاء على استغلال الفرص والوسائل والتزام منهج خفيف خلال أيام العمل ولو لم يزد على عشر دقائق (فإنما السيل اجتماع النقط) (والقليل الدائم خير من الكثير المنقطع في التعلم) والتعليم لهذا الصنف والتحصيل عن طريق:

- استخدام آلة التسجيل في السيارة لتكرير المادة وسماع الشرح ثم تسجيل المتن بصوت المتعلم وسماعه بشكل مكثف.
- استغلال أوقات الفراغ في العمل ولحظات الانتظار عند إشارات المرور للحفظ والمطالعة علاوة على المساحة اليومية الفائضة عن العمل والنوم.
- استغلال أوقات الأكل لسماع المادة الصوتية.
- استغلال الأصدقاء في المراجعة والمذاكرة.
- استغلال النوافل والرواتب في تثبيت ما حفظه من القرآن.
- استغلال أدبار الصلوات وخاصة في غير أوقات العمل لتثبيت المحفوظ من الحديث.
- استغلال جزء من عطلة الأسبوع في حفظ ومراجعة المتون.

٣. صنف الطلاب المتفرغين أو شبه المتفرغين من الذين يتوافر لهم وقت كاف أو طبيعة أعمالهم تعين على هذا المنهج العلمي:

- اختيار الوقت والمكان فيتخير وقت الارتياح النفسي وهدوء الجو وينأى عن وقت الضجر والضيق والضجيج ومن أفضل الأوقات في ذلك وقت السحر وما بعد الفجر لصفاء الذهن وراحة الجسد وقلة الصوارف.

قال الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: (اعلم أن للحفظ ساعات ينبغي لمن أراد التحفظ أن يراعيها فأجود الأوقات الأسحار) الفقيه والمتفقه ج٢/١٠٣

وقال ابن جماعة: (أجود الأوقات للحفظ الأسحار وللبحث الأبكار وللكتابة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل) تذكرة السامع ٧٢

وقال إسماعيل ابن أويس: (إذا هممت أن تحفظ شيئا فنم وقم عند السحر فأسرج وانظر فيه فإنك لا تنساه بعد إن شاء الله) الجامع في الحث على حفظ العلم ١٧٧

ويتخير من الأمكنة أبعدها عن القواطع وأنقاها من الشواغل وأنظفها من المناظر الصارفة والزخارف الملهية وأطيبها هواء وأهداها جوا قال الخطيب البغدادي: (اعلم أن للحفظ أماكن ينبغي للمتحفظ أن يلزمها وأجود أماكن الحفظ الغرف أي العوالي دون السفل وكل موضع بعيد مما يلهي وخلا القلب فيه مما يفزعه فيشغله أو يغلب عليه فيمنعه وليس بالمحمود أن يتحفظ الرجل بحضرة النبات والخضرة ولا على شطوط الأنهار ولا على قوارع الطرق فليس يعدم في هذه المواضع غالبا ما يمنع من خلو القلب وصفاء السر) الفقيه والمتفقه ١٠٣/٢

قال ابن الجوزي: (ولا ينبغي أن يتحفظ على شاطئ نهر ولا بحضرة خضرة لئلا ينشغل القلب) الحث على حفظ العلم ٢٥٥

وأنسب الأماكن المسجد في الغالب إذ فيه تحفظ منافذ العلم وهي السمع والبصر والكلام عن غير ما يرضي الله ويقرب إليه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ السجدة: ٩

- تغيير الهيئة أثناء الحفظ والمذاكرة بالقيام تارة والجلوس تارة أخرى والسير تارة ثالثة حتى يتجدد النشاط ويدفع الملل ويتلافى الخمول مع الاستعانة باستعادة صورة

المحيط الذي حفظت فيه على استظهار المحفوظ قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنزلت سورة من كتاب الله تعالى إلا وأعلم أين نزلت....) البخاري ٥٠٠٢

- أن يراعي الأداء الجيد الواضح بصوت تسمعه الأذن مرنما على السجية دون تكلف وبنظر يدقق في الحروف وبتعقل يكشف عن المعاني أو يحوم حولها بعد تصحيح المادة تصحيحا دقيقا على الشيخ والتزام كتاب بعينه حتى يفرغ منه واستصحابه في أغلب الأوقات وإن استعنت في استعادة ما تريد حفظه بالكتابة من ذاكرتك فحسن إذ بعض الناس ذاكرته كتابية.

فالحفظ الجيد يقوم على أعمدة الاستعداد النفسي والتركيز والتكرار والربط وعدم الاستعجال والدقة في الأداء.

قال الزبيري بن بكار: (دخل علي أبي وأنا أروي في دفتري ولا أجهر فقال لي إنما لك من روايتك هذه ما أدى بصرك إلى قلبك فإذا أردت الرواية فانظر إليها واجهر بها فإنه يكون لك ما أدى بصرك إلى قلبك وما أدى سمعك إلى قلبك) الجامع في الحث على حفظ العلم ١٧٤

وقال أبو هلال العسكري: (وينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يسمع نفسه فإن ما سمعته الأذن رسخ في القلب ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرؤه وإذا كان المدروس مما يفسح طريق الفصاحة ورفع الدارس به صوته زادت فصاحته).
الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلال العسكري ٣٧

والحفظ قبل التصحيح يعيق سرعة الحفظ وتنجر عنه أخطاء يصعب محوها إذ القاعدة التربوية أن محو التعلم أصعب من التعلم والخلط بين عدة كتب وحتى عدة طبعات يشوش الذهن إذا تعلق الأمر باختلاف الطبعات والنسخ ويضعف القدرة على بناء الملكات وتنميتها والوصول إلى الغايات إن تعلق الأمر بالجمع بين عدة كتب وقد قال أحد العلماء:

وإن ترد تحصيل فن كمله  وعن سواه قبل الانتهاء مه

- أن يراعي في تكرار المادة لحفظها الهدوء والتأني والتركيز على المواد المتشابهة وربط السابق باللاحق مع تركيز النظر أثناء الحفظ على المادة المحفوظة بحروفها وأشكالها حتى تنطبع على صفحة الذهن بعد أن اختير المقطع الذي يناسب قدرتـــه كمّـــا ويقرب من فهمه مادة.

قال الخطيب البغدادي: (ينبغي له (أي من يريد الحفظ) أن يتثبت في الأخذ ولا يكثر بل يأخذ قليلا قليلا حسب ما يحتمله حفظه ويقرب من فهمه فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾ الفرقان: ٣٢.

- أن يحرص على الحفظ اليومي ولو قل وأن يبتعد عن اجهاد النفس بـــالكثير مـــن الحفظ في أوقات متقطعة بل ينبغي أن يستريح يومين أو يوم على الأقـــل حـــتى يستعيد النشاط وأن يلتزم المراجعة والتكرار فيما تم حفظه بشـــكل مـــنظم فـــإن الانضباط والتنظيم يهذبان ويقويان الملكات قال الزهري: (إن الرجل ليطلب وقلبه شعب من الشعاب ثم لا يلبث أن يصير واديا لا يوضع فيه شيء إلا التهمه) الحث على طلب العلم للعسكري٣٦

قال أبو السمح الطائي: (كنت أسمع عمومتي في المجلس ينشدون الشعر فإذا استعدهم زجروني وسبوني وقالوا تسمع شيئا ولا تحفظه وكان الحفظ يتعذر علي حين ابتـــدأت أرومه ثم عودته نفسي إلى أن حفظت قصيدة رؤبة وقائم الأعناق خاوي المختـــرق في ليلة واحدة وهي قريب من مائتي بيت) المرجع السابق ٣٦

وقال أبو هلال العسكري:(كان أحمد بن الفرات لا يترك كل يوم إذا أصبح أن يحفظ شيئا وإن قل) المرجع السابق ٤٠

وقال الخطيب البغدادي: (وينبغي أن يجعل لنفسه مقدارا كلما بلغه وقف وقفته أياما لا يزيد تعلما فإن ذلك بمنزلة البنيان... المتعلم ينبغي أن يجعل لنفسه حدا كلما انتهى إليه وقف عنده حتى يستقر ما في قلبه) الفقيه والمتفقه ١٠٠/٢

قال ابن الجوزي: (وينبغي أن يريح نفسه من الحفظ في الأسبوع يوما أو يومين ليكون ذلك كالبناء الذي يراح ليستقر) الحث على حفظ العلم ابن الجوزي ٢٥٥

- أن يكرر المادة المحفوظة في المراحل الأولى بشكل دوري منظم بإمرار المحفوظ على القلب سرا تارة وتكراره بصوت مرتفع متعقل تارة أخرى فيختار أياما أو يوما من الأسبوع أو أوقاتا منتظمة من كل يوم للتكرار بصوت مسموع مرتفع ويمره على قلبه فقط عند النوم والاستيقاظ إضافة إلى تسجيل المادة بصوت الحافظ وسماعها في أوقات اشتغال الجوارح في الأعمال العادية وأوقات الأكل والسير وقبل النوم ليشتغل العقل الباطني عليها أثناء النوم فيخرجها عند الاستيقاظ محفوظة حفظا متقنا.

قال سفيان الثوري: (اجعلوا الحديث حديث أنفسكم وفكر قلوبكم تحفظوه) الجامع في الحث على حفظ العلم ١٩٠

وقال العز بن عبدالسلام: (ما نمت ليلة إلا وأمررت أبواب الفقه على قلبي قبل النوم) طبقات المفسرين للداوودي ٣١٣/١

وقال ابن الجوزي: (قال لنا الحسن بن أبي بكر النيسابوري لا يحصل الحفظ لي حتى يعاد خمسين مرة وكان أبو اسحاق الشيرازي يعيد الدرس مائة مرة) الحث على حفظ العلم ٢٥٤

- أن يعتني عناية كاملة بتعقل وتفهم المادة المحفوظة أثناء الحفظ وخلال المراجعة بسؤال الشيخ أو الرجوع إلى الكتاب الشارح أو مذاكرة الرفيق في العلم، علاوة على تكرار شرح الشيخ مرارا من خلال مذاكرة المرء لنفسه أو مع طلب العلم وإعادة سماع شرح الشيخ مرارا.
- فقد سئل أحد الشناقطة بم نلت هذا العلم قال: بألف إعادة للنص ومائة مذاكرة للمعنى ويمكن أن يستعين الطالب بما جرب وأمر من تقوية بعض المواد للحفظ قال

الله تعالى في العسل: (فيه شفاء للناس) وقال صلى الله عليه وسلم: (ماء زمزم لما شرب له) أخرجه أحمد بسند صحيح وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنها مباركة إنها طعام طعم وشفاء سقم) النحل قال الهاشمي: (من أحب أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب) الجامع لأخلاق الراوي٢/ ٢١٧ وقال الزهري: (عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ) المرجع السابق ٢١٧/٢ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (عليك بألبان البقر فإنه يشجع القلب ويذهب النسيان) المرجع السابق ٢١٧/٢

**كلمات دالة:**

- النقش في الصغر أسهل وأبقى ولكن النقش في الكبر ممكن وكثيرا ما تطاوع له القوي.
- الفراغ الموظف والبلغة غير المشغلة من أجل الأدوات في تحصيل العلم ولكنه كثيرا ما يحصل مع الشغل الكثير والفقر الكبير بفضل التصميم والتدبير.
- الذكاء أداة نافعة في تحصيل العلم والانتفاع به غير أن متوسط الذكاء إذا كان ممن وهب الهمة والاستقامة كثيرا ما يفوق الذكي القاصر عنه في الأمرين.
- البطنة الدائمة معيقة لحركة الفكر في المعلومات المحسوسة والمعقولة لتوجهه إلى عمل الجهاز الهضمي ومعيقة لنشاط الجسم في الأعمال الذهنية لاسترخائه وميله إلى الراحة والنوم ولكن الجوع المفرط مضر بالصحة ومشغل عن الفكرة ومضعف لأدوات العلم: (السمع والبصر والفؤاد) والفضيلة وسط بين حدين قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ الفرقان: ٦٧
- من استخف بطلب العلم المحيي أثقلته تبعات الجهل المردي.
- من ضن على العلم بالمال والوقت فقد باع حظه منه بالحرمان والفوت.
- من تكبر عن داعي العلم الناصح أهانه داعي الجهل الفاضح.
- من لم يأخذ نفسه بأدب العلم مع أهله وأئمته أدبه الدهر بأراذله وسفلته.
- سفينة بلوغ غاية الأرب هي الإخلاص في الطلب.

- من أراد أن يبلغ أحسن مناه فلا ينفك عن اللجوء إلى الله تعالى.
- من وفقه الله تعالى للنجاح في أي مستوى من مستويات هذا المنهج العلمي بنسبة تقارب ٦٠% فليفرح بوضع القدمين على أثر الإئمة السادات وإن كان النجـــاح درجات والفوز مقامات وبينهما مراحل ومسافات ومن لم يصل إلى قرابة ذلـــك فلا ييأس ولا يعجز فإن تكرار المحاولة سيف بتار لقطع العقبات ومن الأئمة من لم يصل إلا بعد المحاولة سبع مرات.

أخلق بذي الصـــبر أن يحضـــى بحاجتـــه ومـــــدمن القـــــرع للأبـــــواب أن يلجـــــا

والله أعلم